

"التناسب بين موضوعات السورة وموضوعات السورة التي تليها: دلالته وتطبيقاته"

The proportionality between the topics of the surah and the topics of the next surah: its significance and applications

1. سعيد سهيلي (said Sahili)، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب

walidhamid1990@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ القبول: 2021/10/30

تاريخ الإرسال 2021/09/05

ملخص:

يروم البحث الذي بين أيدينا تعريف علم المناسبات وبيان أهميته، مع الوقوف على نماذج تتركز على تناسب موضوعات السورة مع موضوعات السورة التي تليها، وقد أظهر البحث مجموعة من النتائج من بينها: يظهر الجانب التطبيقي تفاوت وجه التناسب بين السور؛ باختلاف قائله، وأن التناسب اجتهادي ونسبي، يتفاوت من عالم لآخر. كلمات مفتاحية: التناسب؛ موضوعات السورة؛ الدلالة؛ التطبيق.

Abstract:

The research that we have before us aims to define the science of occasions and explain its importance, while standing on models that focus on the compatibility of the topics of the surah with the topics of the next surah. According to his sayings, and that the proportionality is discretionary and relative, varies from one world to another.

Keywords: proportionality; Surah topics; indication; application.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن علم المناسبات باب جليل، ومورد عذب عليل، يربط القلوب بالقرآن، ويجمع العقول على التسليم للرحمن، دقائقه معجزة للألباب، ودرره أسرة للعقول والأحلام، في أجمل صورة وأتم بيان، إلا أن هذا العلم مركبه وعمر يحتاج إلى ملكة ودربة، وإلى علم وأهبة، مع ما فتح الله به على من اختاره من عباده واصطفاه، لذلك كان لزاماً على من اقتحم بابه أن يحترز في التكلف في إظهار أوجه المناسبة، وأن يصون القرآن والمعاني عن التعسف والتنطع.

ولما كانت أنواع المناسبات كثيرة تتنوع وتتفاوت باعتبار موطن المناسبة فيها، ارتأيت في هذا المقال أن أسلط الضوء على أحد هذه الأنواع، وهو موضوعنا المقصود بالبحث الموسوم ب:

"التناسب بين موضوعات السورة وموضوعات السورة التي تليها: دلالته وتطبيقاته"

وقد ارتأيت تقسيمه إلى:

مقدمة: ذكرت فيها موضوع البحث، والخطة المرسومة فيه.

وثلاثة محاور:

الأول منها: في التعريف بالمناسبات، وبيان أهميتها.

والثاني: في بيان أنواع المناسبات، وعلاقتها بالتفسير الموضوعي.

والثالث: في بعض التطبيقات العملية.

وخاتمة: أوردت فيها أهم نتائج البحث.

وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي، وفي بعض الأحيان المنهج التحليلي والمقارن.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول: علم المناسبات: تعريفها وأهميتها:

المناسبة لغة: قال ابن فارس: (النُّونُ وَالسَّيْنُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، مِنْهُ النَّسَبُ، سُيِّ لَاتِّصَالِهِ وَلِلاتِّصَالِ بِهِ، تَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسُ بَ، وَهُوَ نَسِيبُ فَلَانٍ، وَمِنْهُ النَّسِيبُ فِي الشَّعْرِ إِلَى الْمَرْأَةِ؛ كَأَنَّهُ ذَكَرَ يَتَّصِلُ بِهَا، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ، تَقُولُ مِنْهُ: نَسَبْتُ أَنْسُ بَ، وَالنَّسِيبُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، لِاتِّصَالِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ)¹.

وقال ابن منظور: (وَتَقُولُ: لَيْسَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ، أَيْ: مُشَاكَلَةٌ)².

أما في الاصطلاح: فلعلم المناسبات عدة تعاريف، نقتصر على اثنين منها:

1/ تعريف البقاعي: (علم تعرف منه علل الترتيب،... وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال)³.

2/ تعريف السيوطي: (وَمَرَجِعُهَا فِي الْآيَاتِ وَنَحْوِهَا إِلَى مَعْنَى رَابِطٍ بَيْنَهَا عَامٍّ أَوْ خَاصٍّ عَقْلِيٍّ أَوْ حِسِّيٍّ أَوْ خَيَالِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَلَاقَاتِ أَوْ التَّلَازُمِ الذِّهْنِيِّ كَالسَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ وَالْعِلَّةِ وَالْمُعْلُولِ وَالنَّظِيرَيْنِ وَالضَّادَّيْنِ وَنَحْوِهِ)⁴.

أما عن أهمية المناسبات:

فيقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (الْمُنَاسَبَةُ عِلْمٌ حَسَنٌ، وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي حُسْنِ ارْتِبَاطِ الْكَلَامِ أَنْ يَقَعَ فِي أَمْرٍ مُتَّحِدٍ مُرْتَبِطٍ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ)⁵.

ويقول الزمخشري مشيراً إلى أهمية علم المناسبة: (فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحداً، ولأمر مما أعجز القوى وأخرس الشقاشق)⁶.

ويقول الزركشي: (وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ عِلْمٌ شَرِيفٌ تُحْزَرُ بِهِ الْعُقُولُ، وَيُعْرَفُ بِهِ قَدْرُ الْقَائِلِ فِيمَا يَقُولُ،... ولهذا قيل: الْمُنَاسَبَةُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ إِذَا عُرِضَ عَلَى الْعُقُولِ تَلَقَّتْهُ بِالْقَبُولِ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ فَيَقْوَى بِذَلِكَ الْإِرْتِبَاطُ وَيَصِيرُ التَّأْلِيفُ حَالَهُ حَالِ الْبِنَاءِ الْمُحْكَمِ الْمُتَلَئِمِ الْأَجْزَاءِ)⁷.

المحور الثاني: أنواع المناسبات، وعلاقتها بالتفسير الموضوعي:

يمكن التمييز بين نوعين مهمين من أنواع التناسب:

الأول: المناسبات في السورة الواحدة: وتُسمى أيضاً المناسبات الداخلية: ولها خمس صور:

1- تناسب كلمات الآية الواحدة.

2- التناسب بين الآية والآية التي تليها.

3- التناسب بين اسم السورة ومضمونها.

4- تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

5- التناسب بين أول السورة وخاتمتها.

الثاني: المناسبات بين السورتين: وتسمى أيضاً المناسبات الخارجية: ولها ثلاث صور:

1- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها.

2- المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة التي قبلها.

3- مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها، وكذلك بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها، وهذا النوع الأخير من أنواع التناسب هو المقصود بالبحث في هذا العرض.

قال السيوطي: (القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معنى ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها)⁸.

قال صاحب مصابيح الدرر: (النظر في هذا اللون من التناسب يتجّه أساساً إلى أمرين رئيسين: المناسبة اللفظية (وتلحق بها مناسبة الفواتح والخواتم)، والمناسبة الموضوعية)⁹.

ويحسن الإشارة في هذا المحور إلى العلاقة بين التناسب والتفسير الموضوعي:

فالتفسير الموضوعي يطلق ويُراد به أحد معنيين:

(الأول: بيان اتحاد سورة من القرآن الكريم في موضوع رئيس تُردُّ إليه سائر الموضوعات الجزئية التي قد تناولها، لاسيما إذا كانت من الطوال بحيث تبدو السورة كلها وحدة واحدة يُردُّ عجزها إلى صدرها، وتتفق مقدمتها ومؤخرتها، والمعنى الثاني: هو أن يعمد الناظر إلى موضوع معين (كالصبر، والأخلاق، والجهاد ... مثلا)، ويجمع ما يتعلّق به من القرآن الكريم، ليردّ متشابهه إلى محكمه، ومنسوخه إلى ناسخه، ويبين الخصوص والعموم، والإطلاق والتقييد... وغير ذلك، حتّى يستوي الموضوع على سؤقه متكاملًا، مرعيّ الجوانب كلها، ولهذا اللون نماذج قديمة، غير أنه لم يتوسّع فيه توسعاً كبيراً إلا في القرون الأخيرة كذلك. وفي الحقيقة أن ثمة علاقة وثيقة بين علم المناسبة وبين التفسير الموضوعي بمعناه الأول؛ إذ إنّهما يجتمعان في بيان مناسبة آيات السورة الواحدة، وتلاحم فقراتها، وترابط أجزائها.. حتّى تظهر السورة ذات شخصية مُستقلّة، وذات موضوع رئيس تدور حوله، وذات نظام يردُّ إليه مُختلف موضوعاتها)¹⁰.

المحور الثالث: تطبيقات عملية

علم المناسبات علم اجتهادي، يختلف باختلاف الأنظار، واتساع الأفكار، وتراتب الأفهام، وتوفيق ربّ الأنام، ولما كان الأمر كذلك؛ ارتأينا في الجانب التطبيقي أن نعمل علم المناسبات على جهة تهم طوال السور وقصاها، مع إيراد صور المناسبة بينها من لدن أكثر من عالم في موطن واحد، ليظهر جانب النسبية والاجتهاد في علم التناسب، واختلافه من عالم لآخر.

طوال السور: التناسب بين سورة النساء وآل عمران:

قال إبراهيم البقاعي: " لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق، وثبت الأساس الحامل الذي هو التوحيد، احتيج إلى الاجتماع على ذلك، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم، فابتدأت بالنداء العام لكل الناس، وذلك أنه لما كانت أمهات الفضائل - كما تبين في علم الأخلاق - أربعاً: العلم والشجاعة والعدل والعفة، كما يأتي شرح ذلك في سورة لقمان عليه السلام، وكانت آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنين منها، وهما العلم والشجاعة - كما أشير إلى ذلك في غير آية {نزل عليك الكتاب بالحق} [آل عمران: 3] ، {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم} [آل عمران: 7] ، {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم} [آل عمران: 18] ، {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} [آل عمران: 139] ، {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله} [آل عمران: 146] ، {فإذا عزم فتوكل على الله} [آل عمران: 159] ، {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً} [آل عمران: 169] ، {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح} [آل عمران: 172] ، {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا} [آل عمران: 200] ، وكانت قصة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهاد مورثوهم في حب الله، وكان من أمرهم في الجاهلية منع أمثالهم من الإرث جوراً عن سواء السبيل وضلالاً عن أقوم الدليل؛ جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما العفة والعدل مع تأكيد الخصلتين الأخريين حسبما تدعو إليه المناسبة، وذلك مثمر للتواصل

بالإحسان والتعاطف بإصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان، فمقصودها الأعظم الاجتماع على الدين بالافتداء بالكتاب المبين، وما أحسن ابتداءها بعموم: {يا أيها الناس} بعد اختتام تلك بخصوص «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا» الآية¹¹.

قال أبو جعفر الغرناطي: " لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها - مع ما ذكر في صدرها أمر عيسى عليه السلام وأنه كمثل آدم في (عدم) الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت سنة فيمن بعد آدم عليه السلام، (فكان سائر الحيوان لا يتوقف على أبوين، أو كان يكون كعيسى عليه السلام لا يتوقف إلا على أم فقط)، أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهم السلام من ذرية آدم سبيلهم سبيل الأبوين فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً". ولأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام، وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا؛ ناسب هذا المقصود من التواصل والألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: [اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا] بالالتئام والوصلة¹².

قال السيوطي: "وأما وجه علاقتها؛ _ أي النساء _ بآل عمران فمن وجوه:

منها: أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهونوع من أنواع البديع يسمى: تشابه الأطراف.

ومنها: أن سورة آل عمران ذكر فيها قصة أحد مستوفاة، وذكر في هذه السورة ذيلها، وهو قوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ} "88"؛ فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أُحُد، كما في الحديث¹³.

ومنها: أن في آل عمران ذكرت الغزوة¹⁴ التي بعد أخذ بقوله: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} "آل عمران: 17"، وأشير إليها هنا بقوله: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ} "104".

وهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليهما في مصحف ابن مسعود؛ لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران وتابعه ولاحقه، فكانت بالتأخير أنسب.

ومنها: أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم، وفي ذلك تبرئة لأمه، خلافاً لما زعم اليهود، وتقريراً لعبوديته، خلافاً لما ادعته النصارى، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً؛ فرد على اليهود بقوله: {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هُنَّ نَانًا عَظِيمًا} "156"، وعلى النصارى بقوله: {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} إلى قوله: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ} "171، 172".

ومنها: أنه لما ذكر في آل عمران: {إِنِّي مُتَوَقِّعُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} "آل عمران: 55"، ورد هنا على من زعم قتله بقوله: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ} "157، 158".

ومنها: أنه لما قال في آل عمران في المتشابه: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} "آل عمران: 7"، قال هنا: {لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} "162".

ومنها: أنه لما قال في آل عمران: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} "آل عمران: 14".

فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية: ليعلم ما أحل الله من ذلك فيقتصر عليه، وما حرم فلا يتعدى إليه؛ لميل النفس إليه.

ففصل في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها للابتداء بها في الآية السابقة في آل عمران، ولم يحتج إلى تفصيل البنين؛ لأن الأولاد أمر لازم للإنسان لا يترك منه شيء كما يترك من النساء، فليس فهم مباح فيحتاج إلى بيانه، ومع ذلك أشير إليهم في قوله: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} "9"¹⁵.

وهذا التوسع في إظهار وجه المناسبة بين السورتين من قبل السيوطي؛ هو نتاج قاعدته التي تقول أن السورة المتقدمة تبين وتوضح مجمل السورة التي قبلها.

ولقد رجعنا إلى مفاتيح الغيب، فلم نره تعرض إلى وجه المناسبة بين سورة آل عمران والنساء.

قصار السور: التناسب بين سورة الماعون وسورة الكوثر:

قال الفخر الرازي: " اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ عَلَى اخْتِصَارِهَا فِيهَا لِحَافٍ: إِحْدَاهَا: أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَالْمُقَابِلَةِ لِلْسُّورَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي السُّورَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَافِقِ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ: أَوَّلُهَا: الْبُخْلُ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ. الثَّانِي: تَرْكُ الصَّلَاةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. والثالث: المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله: الَّذِينَ هُمْ يُرَأَوْنَ. والرَّابِعُ: الْمَنَعُ مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ. فَذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي مُقَابَلَةِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ صِفَاتٍ أَرْبَعَةٍ، فَذَكَرَ فِي مُقَابَلَةِ الْبُخْلِ قَوْلَهُ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ؛ أَيِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَثِيرَ، فَأَعْطِ أَنْتَ الْكَثِيرَ وَلَا تَبْخُلْ، وَذَكَرَ فِي مُقَابَلَةِ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ قَوْلَهُ: فَصَلِّ؛ أَيِ دُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَذَكَرَ فِي مُقَابَلَةِ الَّذِينَ هُمْ يُرَأَوْنَ قَوْلَهُ: لِرَبِّكَ؛ أَيِ أَنْتَ بِالصَّلَاةِ لِرِضَا رَبِّكَ، لَا لِمُرَاءَاةِ النَّاسِ، وَذَكَرَ فِي مُقَابَلَةِ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ قَوْلَهُ: وَأَنْحَرْ؛ وَأَرَادَ بِهِ التَّصَدَّقَ بِلَحْمِ الْأَضَاحِيِّ. فَاعْتَبِرْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ الْعَجِيبَةَ.

ثُمَّ خَتَمَ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أَيِ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَأْتِي بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي تِلْكَ السُّورَةِ سَيَمُوتُ وَلَا يَبْقَى مِنْ دُنْيَاهُ أَثَرٌ وَلَا خَبْرٌ، وَأَمَّا أَنْتَ فَيَبْقَى لَكَ فِي الدُّنْيَا الذِّكْرُ الْجَمِيلُ، وَفِي الْآخِرَةِ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ¹⁶.

قال ابن الزبير الغرناطي: " لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتغرر بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير مما يجمعون: وهو الكوثر وهو الخير الكثير، ومنه الحوض الذي ترده أمته في القيامة، لا يظلم من شرب منه، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرين عند شفاعته العامة للخلق وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير قدم له في دنياه كت تحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم، إلى ما لا يحصى من خير الدنيا والآخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} [يونس: 58] ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين، الجامع لعقل الأولين والآخرين، والشفاء لما في الصدور.

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال مبيناً له منهاً على عظيم ما أعطاه: {لا تمدن عينيك إلى ما متعنا} [الحجر: 88] إلى قوله: {ورزق ربك خير وأبقى}، فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره تعالى في كتابه من نعيم أهل الدنيا، تمكن من تمكن منهم وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من إشارتها وتبين بهذا وجه تعقيها والله أعلم¹⁷.

قال إبراهيم البقاعي: " لما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخل وأدنى

الخلائق: المنع تنفيراً من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدأت الكوثر بأجود الجود. العطاء لأشرف الخلائق ترغيباً فيه وندباً إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون¹⁸.

أما السيوطي فقد اكتفى في المناسبة بين سورة الماعون والكوثر بما ذكره الفخر الرازي فقط.

خاتمة:

إن علم المناسبات علم جليل، ومنهل أصيل، تهفوا إليه النفوس، وتصبوا نحوه العقول؛ لما له من جميل الأثر في معرفة أسرار القراءان، ومعالم التنزيل، مما يعود على المسلم بتمام التسليم وكمال التعلق بكلام المولى عز وجل، إلا أن هذا العلم يرجع في المقام الأول إلى أفهام أهل العلم وإلى مداركهم؛ لذلك يعتريه في بعض الأحيان شيء من التعسف والتكلف في إظهار وجه المناسبة.

ويمكن إجمال نتائج البحث في النقاط الآتية:

_ يتنوع علم المناسبات بتنوع جهة تناوله، من حيث تناسب السور أو تناسب الآيات أو فواتح السور مع خواتيمها وهكذا.

_ يظهر الجانب التطبيقي تفاوت وجه التناسب بين السور؛ باختلاف قائله.

_ التناسب اجتهادي ونسبي، يتفاوت من عالم لآخر.

والحمد لله رب العالمين، عليه يتوكل المتوكلون.

الهوامش :

¹ معجم مقاييس اللغة 424/5.

² لسان العرب 756/1.

³ نظم الدرر 6-5/1.

⁴ الإتيان في علوم القرآن 371/3.

⁵ البرهان في علوم القرآن 37/1.

⁶ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل 387/3.

⁷ البرهان في علوم القرآن 35/1.

⁸ تناسق الدرر في تناسب السور ص: 68.

⁹ الجزء الأول ص: 131.

¹⁰ مصابيح الدرر 27/1.

¹¹ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 170_172.

¹² البرهان في تناسب سور القرآن 198_200.

¹³ أخرجه البخاري في التفسير 59/6 عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ومسلم في المنافقين 8/128.

¹⁴ هو يوم حمراء الأسد، وكان عقب أحد، وكان الكفار قد ندموا أن لم يدخلوا المدينة، فبلغ ذلك

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فندب المسلمين للخروج على ما بهم من جراح؛ ليرهم أن بهم قوة

وجلداً. انظر: البخاري 5/1307.

¹⁵ أسرار ترتيب القرآن 70_73.

¹⁶ مفاتيح الغيب 307/32.

¹⁷ البرهان في تناسب سور القرآن 380_379.

¹⁸ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 287/22.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

- 1- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى: 1416 هـ - 1995 م.
- 2- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه وسننه (ت: 256هـ) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي-تحقيق: محب الدين الخطيب- المطبعة السلفية – الطبعة الأولى: 1400هـ
- 3- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى: 1412هـ-1991م.
- 4- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة الطبع: 1399هـ - 1979م.
- 5- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 هـ
- 6- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير.أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ).الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

- 7- البرهان في تناسب سور القرآن. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ). تحقيق: محمد شعباني. دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب. عام النشر: 1410 هـ - 1990 م.
- 8- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)-دار صادر بيروت- الطبعة الثالثة: 1414 هـ
- 9- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى: 1376 هـ - 1957 م.
- 10- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)-قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخته المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز-المكتبة السلفية.
- 11- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
- 12- تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، المحقق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م.
- 13- أسرار ترتيب القرآن. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- 14- الإتقان في علوم القرآن (ت: 911هـ)، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية.

- 15- فتح القدير. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى 1414 هـ.
- 16- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: 1415 هـ.
- 17- تفسير المراغي. أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
- 18- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. عادل بن محمد أبو العلاء. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: العدد 129 - السنة 37 - 1425 هـ.
- 19- مناسبات الآيات والسور. أحمد حسن فرحات. الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.